

تقليد تعابير الوجوه في ضحكات القرود العليا: لمحة عن التواصل الاجتماعي القديم

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

أبريل 24, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). تقليد تعابير الوجوه في ضحكات القرود العليا: لمحة عن التواصل الاجتماعي القديم. عرب سايكولوجي. تم الاسترجاع من <https://arabpsychology.com/?p=121004>

هل يضحك القردة بنفس الطريقة التي نضحك بها؟ دراسة جديدة تكشف عن أصول التواصل العاطفي

أُتعرّف ذلك الشعور عندما تضحك مع صديق، فتجده يقلد ابتسامتك أو تعابير وجهك دون وعي؟ هذا ليس مجرد صدفة، بل هو جزء أساسي من الطريقة التي نتواصل بها عاطفياً ونفهم بعضنا البعض. ولكن هل هذه القدرة فريدة للبشر؟ سؤال شغل بال العلماء لسنوات طويلة. دراسة حديثة، نشرت نتائجها مؤخراً، تقدم أدلة قوية على أن هذه الآلية – تقليد تعابير الضحك – موجودة أيضاً لدى القردة الكبيرة، وتحديدًا الشمبانزي والإنسان الآسيوي (الأورانجوتان)، مما يفتح نافذة جديدة على فهم تطور التواصل العاطفي لدى الرئيسيات.

الإطار النظري

تستند هذه الدراسة إلى فهم عميق لكيفية عمل الدماغ البشري في معالجة المعلومات الاجتماعية والعاطفية. مفهوم "المرآة العصبية" (Mirror Neurons) يلعب دوراً محورياً هنا. هذه الخلايا العصبية تنشط ليس فقط عندما نقوم بفعل ما، ولكن أيضاً عندما نرى شخصاً آخر يقوم بنفس الفعل. تخيل أنك تشاهد شخصاً يبتسم، فإن خلايا عصبية معينة في دماغك تنشط كما لو كنت أنت من يبتسم. هذا النشاط العصبي يعتقد أنه أساس التعاطف، وفهم مشاعر الآخرين، والقدرة على التنبؤ بسلوكهم.

بالإضافة إلى ذلك، تعتمد الدراسة على نظرية "التعبير العاطفي" (Emotional Expression) التي تفترض أن تعابير الوجه ليست مجرد ردود فعل عشوائية، بل هي إشارات اجتماعية معقدة تحمل معلومات حول الحالة العاطفية للفرد. تقليد هذه التعابير، كما يظهر في هذه الدراسة، يعزز من فهمنا لهذه الإشارات ويقوي الروابط الاجتماعية. هذا التقليد ليس مجرد محاكاة سطحية، بل هو عملية معقدة تتضمن معالجة عاطفية عميقة.

الضحك كأداة اجتماعية

الضحك، على وجه الخصوص، يعتبر أداة اجتماعية قوية. فهو لا يعبر فقط عن الفرح، بل يعزز أيضاً الترابط بين الأفراد ويخفف من التوتر. في البشر، هناك أنواع مختلفة من الضحك، بعضها أكثر تعقيداً من البعض الآخر. الدراسة تركز على نوعين رئيسيين من تعابير الضحك: تلك التي تظهر فيها الأسنان العلوية، وتلك التي لا تظهر فيها. الفرق بينهما ليس مجرد جمالي، بل يعكس أيضاً جوانب مختلفة من السياق الاجتماعي والعاطفي.

المنهجية

قام الباحث داستري أوستري (Austri D.A.) وفريقه بدراسة 96 قرداً من ثماني مجموعات اجتماعية مختلفة، شملت الشمبانزي والإنسان الآسيوي. الهدف كان تحديد ما إذا كانت القردة تقوم بتقليد تعابير الضحك لبعضها البعض، وتحديدًا خلال فترة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة ثوانٍ. هذه الفترة الزمنية القصيرة مهمة لأنها تعكس سرعة الاستجابة العاطفية.

اعتمدت الدراسة على طريقة دقيقة تتضمن تحليل تفصيلي لتعابير الوجه. قام الباحثون بتصوير القردة أثناء تفاعلها الاجتماعي، ثم قاموا بتحليل هذه التسجيلات لتحديد ما إذا كان القرد الذي يشاهد ضحك قرد آخر يقلد نفس تعابير الوجه. ركزوا على النوعين المذكورين من تعابير الضحك: مع إظهار الأسنان العلوية، وبدون إظهارها. استخدموا نظاماً لتصنيف تعابير الوجه يعتمد على نظام "Duchenne smile" البشري، وهو نظام معروف بدقته في تحديد تعابير الضحك الحقيقية.

المنهجية كانت تتضمن خطوتين رئيسيتين: أولاً، تحديد تعابير الضحك لدى القرد "المرسل" (the sender). ثانياً، مراقبة القرد "المستقبل" (the receiver) لمعرفة ما إذا كان يقلد نفس التعبير خلال الإطار الزمني المحدد. تم تحليل البيانات إحصائياً لتحديد ما إذا كان التقليد يحدث بشكل عشوائي أم أنه نتيجة لعملية اجتماعية وعاطفية حقيقية.

النتائج

أظهرت النتائج أن كلا النوعين من القردة – الشمبانزي والإنسان الآسيوي – قاما بتقليد تعابير الضحك، ولكن بشكل انتقائي. التقليد كان أكثر وضوحاً في تعابير الضحك التي لا تظهر فيها الأسنان العلوية. هذا الاكتشاف مهم لأنه يشير إلى أن القردة لا تقوم بتقليد جميع أنواع الضحك بشكل متساوٍ، بل تفضل تقليد تلك التي ترتبط بسياقات اجتماعية أقل خطورة، مثل اللعب الهادئ.

بالنسبة للإنسان الآسيوي، وجد الباحثون أن التقليد كان مرتبطاً بمدة اللعب. كلما زاد التقليد، زادت مدة اللعب. هذا يشير إلى أن تقليد تعابير الضحك قد يلعب دوراً في تعزيز الروابط الاجتماعية وإطالة مدة التفاعلات الإيجابية. هذا الاكتشاف يدعم فكرة أن الضحك والتقليد ليسا مجرد تعبيرات عشوائية، بل هما أدوات اجتماعية مهمة تساعد على بناء العلاقات والحفاظ عليها.

الآثار

هذه النتائج لها آثار عميقة على فهمنا لتطور التواصل العاطفي لدى الرئيسيات. إنها تشير إلى أن القدرة على تقليد تعابير الوجه، وتحديد تعابير الضحك، ليست حكراً على البشر، بل هي سمة مشتركة مع القردة الكبيرة. هذا يعني أن الأصول التطورية لهذه القدرة تعود إلى فترة زمنية أقدم بكثير مما كنا نعتقد.

يقدر الباحثون أن تعابير الضحك المعقدة كانت موجودة بالفعل لدى أسلافنا المشتركين مع القردة الكبيرة منذ 10 إلى 16 مليون سنة. هذا يشير إلى أن التواصل العاطفي كان يلعب دوراً مهماً في حياة هذه الحيوانات، وأن القدرة على فهم مشاعر الآخرين والتنبؤ بسلوكهم كانت ضرورية لبقائهم وتكاثرهم.

السياق الثقافي العربي

عند النظر إلى هذه النتائج في سياق العالم العربي، نجد أنها تثير تساؤلات مهمة حول دور التواصل غير اللفظي في الثقافة العربية. تشتهر الثقافة العربية بغناها بالتعبيرات العاطفية، وأهمية العلاقات الاجتماعية القوية. الضحك، على سبيل المثال، غالباً ما يستخدم كأداة لكسر الحواجز وتعزيز التواصل. تقليد تعابير الوجه، كما تظهر هذه الدراسة، قد يكون جزءاً لا يتجزأ من هذه العملية.

ومع ذلك، هناك أيضاً بعض الفروق الثقافية التي يجب أخذها في الاعتبار. في بعض المجتمعات العربية، قد يكون هناك تحفظ أكبر في التعبير عن المشاعر علناً، وقد يكون التقليد أقل وضوحاً. بالإضافة إلى ذلك، قد تختلف معاني تعابير الوجه المختلفة باختلاف السياقات الثقافية. على سبيل المثال، قد يعتبر الضحك بصوت عالٍ علامة على الاحترام والتقدير في بعض الثقافات، بينما قد يعتبر وقحاً في ثقافات أخرى.

من المهم أيضاً أن نأخذ في الاعتبار تأثير الدين على التعبير العاطفي في العالم العربي. قد تفرض بعض التقاليد الدينية قيوداً على التعبير عن المشاعر، وقد تؤثر على طريقة تقليد تعابير الوجه. هذه العوامل الثقافية والدينية تجعل من الضروري إجراء المزيد من البحوث لفهم كيفية ترجمة هذه النتائج إلى السياق العربي بشكل كامل.

آفاق مستقبلية وقيود

هذه الدراسة تفتح الباب أمام العديد من الأسئلة البحثية المستقبلية. من المهم إجراء المزيد من الدراسات لتحديد العوامل التي تؤثر على تقليد تعابير الضحك لدى القردة، مثل العمر والجنس والمكانة الاجتماعية. كما أنه من المهم دراسة الأنواع الأخرى من القردة الكبيرة لمعرفة ما إذا كانت تظهر نفس القدرة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام تقنيات تصوير الدماغ لدراسة النشاط العصبي المرتبط بتقليد تعابير الوجه لدى القردة.

هناك بعض القيود التي يجب أخذها في الاعتبار عند تفسير نتائج هذه الدراسة. أولاً، الدراسة اعتمد

Recommended Academic Training

:Deepen your knowledge with these specialized courses from our Academy

أخلاقيات مهنة التعليم View Course → اصول التربية والتعليم View Course → التربية البيئية والتنمية المستدامة View Course → Course

Reference

Austry D.A. (2026). *Towards the complexity of laugh communication in great apes: exact facial replications* (in laugh faces of orangutans and chimpanzees. Scientific Reports, 16(1).

DOI: [10.1038/s41598-026-43992-w](https://doi.org/10.1038/s41598-026-43992-w)